

الزوجة وسرديات الزنوج مقارنة جينالوجية للمصطلح

"Negritude" and the narratives within it represent a genealogical approach to the term

*أميرة بوغرة

جامعة جيجل 18000 جيجل، (الجزائر)، amira.bougrara@univ-jijel.dz

مخبر البحث في الدراسات السوسيو- لغوية، السوسيو- تعليمية والسوسيو- أدبية

تاريخ النشر: 2024/12/27

تاريخ القبول: 2024/07/21

تاريخ الاستلام: 2023/12/26

ملخص:

تميّزت القارة الأفريقية بخصوصيتها الحضارية واختلاف الأنظمة الفكرية والثقافية بها، بسبب غزوات فكرية وأوروبية حاولت بشق السبل طمس الملامح الفكرية والحضارية والثقافية لأهلها، فأدى هذا لظهور حركات فكرية وثقافية كان الهدف منها المحافظة والتصدي لكل أشكال الغزو الحضاري الأوروبي، وإرساء دعائم الثقافة الأفريقية عبر كتابات تحمل هم الفرد الزنجي. لذلك كان سعينا لتسليط الضوء على مصطلح الزوجة والمصطلحات المتقاربة منه، وكذلك الحفر في الأنظمة المعرفية لمصطلح سرديات الزنوج؛ لإمطاة اللثام عن التداخل المصطلحي لهذا الحقل المعرفي، باعتبار أدب الزوجة مجموعة الآثار الأدبية التي تُعبر عن الرؤية المشكّلة للزنوج المنحدرين من أصل أفريقي، إضافة إلى أنه مصطلح متداول في الدراسات النقدية والثقافية في الأدب الأفريقي وهذا في مقابل السرد الأوروبي. كلمات مفتاحية: الثقافة، الزنوج، أفريقي، الأدب، السرد.

Abstract:

The African continent stood out for its cultural distinctiveness and the diversity of its intellectual and cultural systems. Due to attempts by European ideologies to erase their intellectual, cultural, and civilizational traits, this led to the rise of intellectual and cultural movements aimed at preservation and resistance against various forms of European cultural invasion. Their goal was to establish the foundations of African culture through writings that emphasized the plight of the Black individual.

Hence, our effort has been to spotlight the term "Negritude" and related concepts, delving into the cognitive systems of Negritude narratives to unveil the terminological interplay within this field of knowledge. Considering Negritude literature as a collection of literary works expressing the complex vision of Blacks of African descent, it's a term commonly used in critical and cultural studies within African literature, contrasting with European narratives.

Keywords: Culture; Negritude; African; Literature; Narrative.

*المؤلف المرسل: أميرة بوغرة، الإيميل: amira.bougrara@univ-jijel.dz

1. مقدمة:

مرّ على القارة الإفريقية الكثير من المشاكل والحروب والأزمات، التي كانت سبباً في تدهور أنظمة شتى جعلت من هذه القارة محطة أنظار القوى الأوروبية والغربية، فمارسوا عليها كلّ أنواع التسلّط والوحشية، وفرض الهيمنة السياسية والعسكرية، وصيّد للعبيد وترحيلهم إلى أوروبا وأمريكا، ومحاولة طمس كلّ أشكال الهوية الإفريقية، من خلال القضاء على اللغات واللهجات والعادات والتقاليد، وتجريد هاته المجتمعات من كل ما قد يكون سبباً في قيامها أو المحافظة عليها. ففرضت هاته الدول المستعمرة سيطرتها ونفوذها وقوتها لتكون هي الجانب الأقوى والأفضل... في مقابل المستعمرات التي كانت هي الجانب المهمش الذي يخضع لكل سياسيات القتل والنهب والإقصاء في بلده الأصلي بداية، ثمّ تهيمش الأفارقة الذين تمّ ترحيلهم عنوة أو بسبب

ظروف إلى الدول الأوروبية والأمريكية، فُتحتوا بالزواج والسود والأقليات والمهمشين وهذا بسبب محاولة تشويه هاته الشعوب التي عُرف عنها أنها شعوب شرسة عاشت في طبيعة متخلّفة بدائية، تميزت بالبشرة الداكنة والشعر الأسود، وهاته النظرة امتدت لقرون طويلة، فُتعت دائما الأفريقي بذلك. وسنحاول من خلال ورقتنا البحثية تسليط الضوء على هاته المصطلحات لإمالة اللّثام عن التداخل المصطلحي لهذا الحقل المعرفي والاستعانة بالمنهج التاريخي في تتبع ظهور وتطور هاته المصطلحات، والإجابة عما يلي: ما المقصود بمصطلح الزنوجة؟ هل هنالك تقاطع وارتباط بينه وبين المصطلحات المتقاربة منه؟ وما الذي ينتج عن الحفر في الأنظمة المعرفية لمصطلح الزنوجة والسرد الزنجي؟

ثم إنّ هذه النظرة الدونية للأفريقي المهمّش لم تقتصر على الواقع فحسب، فلأننا نعلم أن الأدب مرآة للواقع وتصوير له انتقل هذا إلى ميدان الأدب، ومارس الآخر الغربي كل السياسات على الأفارقة، فعرفنا مصطلحات كثيرة من بينها؛ أدب الهامش، أدب الأقليات، الأدب الأفريقي، أدب السود، وأدب الزنوج. فكان الهدف من هذه الدراسة تسليط الضوء على هذه المصطلحات وتقديم مقارنة جينولوجية لها من خلال الحفر في أصل المصطلح والبحث عن المضمرات الأيديولوجية له.

فتوصلنا إلى أن الآخر الغربي لم يكتف بمصطلح الزنجية وسرديات الزنوج فحسب، بل أطلقوا عليهم أيضا مصطلح السود للتعبير عن الشعوب الأفريقية ذات البشرة الداكنة، فالزنوجة كانت تمثل الصوت الواحد لجميع السود في العالم، ولقب أصحاب البشرة السوداء أو الداكنة بالسود وكانوا منبوذين ولم يطالبوا أن يتم إعلاء شأنهم أو مساواتهم مع الرجل الأبيض (مع أنه كان جديرا أن يعتبر الجميع بشرا) لكنهم طالبوا كثيرا بذلك ولم يتحصلوا عليه، لكن هؤلاء الأفارقة على اعتزازهم بسوادهم وانتمائهم لأفريقيا على الرغم من المعاناة التي عاشوها وهم منبوذون من الأوروبيين.

2. الجينولوجيا (منهج الدراسة)

تمّ استعارة آليات نقد النقد من الفلسفة باعتبار أنها بيئة تتأسس فوق ترتبها المصطلحات وكذلك «بوصفها إبداعا للمفاهيم وحفرا في أنظمة المعرفة وتأسيسا لاستراتيجية السؤال وسعيا لفهم الكائن في هذا الوجود، تبقى دائما وأبدا، حوارا تساؤليا بين الكائن والكينونة عبر وسيط اللغة، لما هي مسكن الكائن ووطنه في هذا الوجود»⁽¹⁾؛ وبالتالي كانت الفلسفة هي الحاضنة الأساسية التي من خلالها تمّ استعارة واجترار آليات لنقد النقد تسعى للكشف عن أنظمة الخطابات والبحث والتنقيب فيها.

ومن بين هذه الآليات اعتبرت «الجنولوجيا من أهم وأبرز المناهج الفلسفية المعاصرة، وقد كان الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه سباقا إلى البحث والتأسيس لهذا المنهج، من خلال بحثه وطرحه لسؤال الأصل فجاءت الجينولوجيا كمنهج يهدف ويسعى إلى الكشف عن الحقيقة وتعريّة مختلف التزييفات التي ألصقت بها، وتفكيك نماذج القول التي قام عليها فعل التفلسف، من خلال التفلسف بضربات المطرقة بلغة نيتشه، وبهذا فإن الجينولوجيا هو الطيب والمشروع والفنان الذي يمارس النقد من أجل تعرية الميتافيزيقا وكشف سيطرتها»⁽²⁾، وبالتالي كانت الجينولوجيا باعتبارها آلية من آليات نقد النقد منحى تسعى من خلاله لرصد أصول الظواهر والكشف عنها والبحث فيها للكشف عن أصل الخطابات وزعزعتها. «الجنولوجيا، بما هي بحث في الأشياء، تصبو إلى بلورة فلسفة المختلف défférent، الأمر الذي يجعلها تعمل على رصد كل ما هو متميز ومختلف

في الأشياء، ومن ثم تغدو إعادة تأويل وقراءة لا متناهية للأشياء. فهي ليست بحثاً عن أصل قديم، أو معنى أول للأشياء، وإنما هي قرار وتأكيد على أولويات معنى على آخر. فالتأسيس في المختلف، ليس تهويماً أو شطحا رومانسياً، وإنما هو فعل واقعي»⁽³⁾، وهي تبحث عند الجذور ليس بوصفها غايات وأصولاً وجب الوقوف عندها فقط بل تسعى لخلخلة مركزيتها واستنطاقها مسائلته ونقداً وكذلك تأويلاً.

3. مقارنة جينالوجية لمصطلح الزنوجة:

1.3 أدب الزنوج:

ارتبط مصطلح الزنجي بالفرد الأفريقي ذو البشرة السوداء الذي يعاني من كل سياسات التهميش والإقصاء، و«أول ما دخل مصطلح (الزنوجة Negritude) معجم المفردات الفرنسية في ثلاثينيات القرن العشرين، وكان له دور كبير في الشعر الفرنسي الذي يكتبه الأفارقة، وهو في الأصل من نحت الشاعر المارتينيكي المشهور (إيميه سيزير) أحد الثلاثة* الذين انتهجوا منهجاً خاصاً للزنوجة على المستوى الفكري والأدبي والنقدي وحتى السياسي، غير أن هذه الفكرة لم تولد من فراغ، بل سبقها العديد من النضالات والأعمال التي مهدت للزنوجة طريقها إلى الظهور، ففيما وراء الأطلسي، كان للأفارقة المبدعين تأثير على بني جلدتهم الأمريكيين، كما ازداد حجم اعتزازهم بسوادهم وبإفريقيا، واعتبروا أنفسهم أطفالها»⁽⁴⁾، فكان استعمال هذا المصطلح من قبل الكتاب الأفارقة أنفسهم دليلاً على عدم خجلهم من سواد بشرتهم ولا من نعتهم بالزنوج، وهذا جعل لهم أثراً على الآخر الغربي في محاولة منهم للاعتراف بهم؛ لأن اعتزازهم بلونهم وسوادهم دليل على فخرهم بهويتهم وتمسكهم بها.

وقد انتشر استعمال هذا المصطلح في النصوص الأدبية والروائية ذلك أن «الحركة الأفريقية المعروفة بـ "الزنجية" لم تكتف بالخلي أو الوطني، وإنما اتجهت كما هو واضح إلى الأصول العرقية لتؤسس عليها هوية ثقافية. ففي "الزنجية" حسب تعبير ليوبولد سنغور الشاعر والرئيس السنغالي السابق وأحد مؤسسي هذه الحركة، تتجمع القيم الثقافية للعالم الأسود وتنهض إنسانية، أو نزعة إنسانية جديدة»⁽⁵⁾، وتؤسس لتبني الأدب الأفريقي لهذا الفكر وعدم الخجل به أو الانتقاص من نفسه في مقابل الآخر الأوروبي الذي شكل فكرة مغايرة للفرد الأفريقي، فقد «صورت أفريقيا بشكل عام والزنجي بشكل خاص كرموز مكتملة لهذه الحياة البدائية والمحدودة، صورة مبالغ لكل صورة وبالتالي غير قابلة للتصوير أصلاً، إذ كان الزنجي بشكل خاص يمثل بشكل كامل هذا الكائن»⁽⁶⁾ ويحاول أن يعلي نفسه بنفسه لأنه رأى أن هذا هو السبيل ليحابه التهميش الذي طاله من الغرب.

وقد كان ظهور مصطلح الزنجية من خلال الثورات الاستعمارية التي عاشها هذا الشعب «فكما هو الحال في الزنجية نشأت في عدد من مناطق العالم المستعمر (بفتح الميم) سابقاً حركات وتوجهات فكرية وبحثية أخرى تستهدف نهضة الثقافات المحلية أو القومية بالإضافة إلى تعرية الخطاب الاستعماري وحمولته الثقافية والمعرفية»⁽⁷⁾؛ فهذا المصطلح يدخل ضمن حقل الخطابات ما بعد الكولونيالية التي شكلتها مجموعة المرجعيات والتوجهات الفكرية التي اهتمت بها الدراسات السردية في ظل حديثها عن الزنجية وسرديات الزنوج.

ثم إنَّ من الأهمية أن نفهم بأن «الزنجي والعرق، من حيث كونهما نتيجة مباشرة لمنطق التخيل الذاتي والتأمل الذاتي أيضاً، يمثلان شيئاً واحداً في مخيال المجتمعات الأوروبية. تلك مسميتان ابتدائيتان، ثقيلتان، مركبتان، ومعتهنتان، رمزي الحدة الفجة والكرامية، إن لم يكن ظهورهما في المعرفة والخطاب الحديثين حول الإنسان (وبالنتيجة حول الإنسانية والإنسانية) متزامنان... وعليه يمثل الزنجي والعرق صورتين توأمتين للهذيان الذي ستتجه الحداثة»⁽⁸⁾، فبالرغم من استعمال بعض الكتاب الأفارقة

مصطلح الزنجية وتوظيفه في كتاباتهم والحديث عنه، إلا أن طبيعة المصطلح ومنشأه وأصله كانا سبيلا بأن يبقى هذا الحقل معبرا عن ذلك الإفريقي الأسود المهمش.

وعلى الرغم من أن فكرة الزواج كشعب عرفوا بهذا الاسم في أفريقيا وتميزوا بمواصفات اختصوا بها إلا أن الكاتب "زهير دحمور" رأى أن «باريس مهد فكرة الزنوجة وموطنها الأصلي، جمعت شبانا من إفريقيا وأمريكا توحدتهم عدة قواسم مشتركة؛ اللغة الفرنسية، وسواد الجلد، والتاريخ الاستعماري، والإقامة الفرنسية، غير أن لون الجلد كان أبرز هذه القواسم لكونه مركز مأساة هذه الجماعة وأهليهم ونقطة تقاطع ماضيهم ومصائرهم، ولهذا كانت إفريقيا تمثل لهم الموطن الأصلي، حيث أنهم اعتبروا أنفسهم أفارقة»⁽⁹⁾ وهذا بسبب الاختلاط بين الأوروبيين والأمريكيين وشبان من أفريقيا فكان هذا الاختلاط سببا في ظهور وانتشار فكرة الزنوجة فهؤلاء جمعت بينهم صفات مشتركة ميزتهم عن الآخر الأبيض.

وقد وافقه "أشيل ميمبي" في ذلك فاعتبر أن «الاسم الزنجي هو نتاج مكانة اجتماعية وتقنية ملازمة للرأسمالية منذ انبثاقها وتعميمها، اختراع للدلالة على الإقصاء، على الخبل والتحقير، لا بل على حد يجب تجنبه دائما وبغض. إن الزنجي الممقوت والمهان إلى أقصى حد ممكن هو في نظم الحداثة الوحيد، من بين كل البشر، الذي صنع من لحمه شيئا ومن روحه سلعة»⁽¹⁰⁾، وأن فكرة الزنجي انبثقت من مجموعة نظم سياسية غربية في أمريكا لينعت كل من يحمل بشرة داكنة بذلك سواء كان إفريقيا أو من آسيا أو حتى أمريكا.

أما على صفحات التاريخ فعُرف الإنسان الزنجي بمجموعة صفات تميزه عن غيره ربما كانت هي سبب تهميشه ونبذه «فالصفات الطبيعية التي تميز السلالات الزنجية هي اللون الشديد السمرة والشعر اللولي والقامة الطويلة (173سم) والرأس طويل باعتدال، وبروز الفك وغلظ الشفتين، مع نسبة أنف عالية»⁽¹¹⁾؛ وهذا كان السبب الرئيس لظهور هذا المصطلح وانتشاره حيث تم استعارته وأخذ من كتب التاريخ التي تحدثت عن القارة الإفريقية وطبيعة هذا الشعب وتكوينه البيولوجي. أما نمط عيشهم، فهاته السلالات «تبنى كوخا مستطيلا، وأسلحتها التقليدية تشمل القوس المدببة الأطراف، أوتارها من النبات، كما يستخدمون السيوف والترس المنسوجة ولكنهم لا يستعملون الهراوة أو المقلاع... وملابسهم من نسيج من لحاء الشجر، وليف النخيل، ولا يتخذون من الجلد لباسا»⁽¹²⁾، وهذا التصور لهذا الفرد الذي عاش في بيئة وظروف قاسية أو بدائية هي ما كانت سببا في مجموعة الخلفيات حول الفرد الإفريقي والزنجي، والتي انتقلت بعد ذلك إلى حقول الأدب والنصوص الروائية لتشكّل تلك الصور حوله. لذلك «أصبح الزنجي لديهم قرينا للتخلف، والبدائية، والانحطاط والقدرة العقلية المحدودة، ولما كان الإنسان لا بد له من التبرير لتصرفه فقد ذهب الأوروبيون إلى أبعد من هذا، لأنه كان عليهم أن يبرروا استعمارهم لأوطان الزواج، وأن يبرروا استرقاقهم في تجارة هائلة امتدت نحو أربعة قرون، ومن ثم كثرت كتابتهم التي تستهين بقدراتهم وكفاءاتهم وبذلك تسمت أفكار أجيال متعددة من الأوروبيين لتبلور في النهاية كحقيقة معترف بها بأن كلمة الزواج ترادف "البشرية المتخلفة أو المنحطة»⁽¹³⁾، إلا أنها لا تعبر عن ذلك وليست مقابلا للانحطاط والتخلف بل السياسات الاستعمارية التي تم ممارستها على الأفارقة والبيئة القاسية التي عاشوا بها كانت سببا في تشكيل هذا التصور عليهم.

2.3 أدب السود:

وفي ظل مصطلح الزنجية وسرديات الزوج لم يكتف الآخر الغربي بإطلاق ذلك المصطلح فحسب بل أطلقوا عليهم أيضا مصطلح السود والشعوب الأفريقية ذات البشرة الداكنة فـ «الزوجة كانت تمثل الصوت الواحد لجميع السود في العالم، فقد كان هؤلاء السود لا يعتبرون أنفسهم أوروبيين أو أمريكيين بقدر ما اعتبروا أنفسهم أفارقة، لهذا نجد (سيزير) يقول " عندما تعرفت على (سنگفور) قلت إني إفريقي»⁽¹⁴⁾، فكانت البشرة الداكنة مميزا للإقصاء والتهميش والعنصرية فتعرض أصحابها لكل أشكال النبذ. و«أفريقيا "السوداء" أو "الزنجية" تعبير من تعبيرات الجغرافيا العنصرية، لا نستطيع أن نستخدمه بغير تردد، لأنه يتضمن فكرة التطابق بين الثقافة والعرق Rase، فضلا عن أن الثقافة "الأفريقية الزنجية" و"أفريقيا الزنجية" لم تتطابقا طوال القرون. وبالرغم من أن هذا يختلف- إلى حد كبير- مع الإجماع السابق، ويعادي الجغرافيا العنصرية التي فصلت شطري القارة فصلا تعسفيا، فهو ينكر ضمنا أن الثقافة الإسلامية انتشرت في السودان وتنزانيا شرقا، ثم انتقلت إلى تشاد في الوسط، وتوسعت في مالي والسنغال ونيجيريا غربا»⁽¹⁵⁾، فكانت هاته المناطق الجغرافية هي المتحكمة في النظرة لمضامين ذلك الأدب. وقد قال "لانغستون هيوز" في حديثه عن ذلك الأسود الإفريقي حينما كان في أمريكا:

«أنا أيضا أغني في أمريكا.

أنا الأخ الداكن.

يرسلونني لأكل في المطبخ

حين تأتي الرفقة،

لكنني أضحك،

وأكل جيدا،

وأصير قويا.

وغدا،

حين تأتي الرفقة

سأكون على المائدة.

لن يجروا أحد عندها

أن يقول لي

كُلْ في المطبخ»⁽¹⁶⁾

فما حدث معه يعبر عن المأساة التي عاشها في تلك الفترة حينما كان في أمريكا وما واجهه بين المجتمع الأبيض من نبذ وعنصرية لكنه على معرفة أنه سيأتي يوم ويتساوى فيه مع ذلك الأبيض ويكون معه على المائدة نفسها.

وقد «ظهرت قضية استعلاء بالعرق الأسود على يد الجامايكي (ماركوس غارفي Marcus Garvey) الذي رأى أن الأسود أفضل من الأبيض، فهو يقول: إننا لا نطالب بالمساواة بالرجل الأبيض... إننا نطالب بالسيادة والتفوق على الجنس البشري كله.. إن العنف هو الطريق المؤدي إلى تحقيق أهدافنا، ويجب أن يكون الشعار الذي يتمسك به الزوج في جميع أنحاء

العالم هو القوة لا القانون، والسلطة لا العدالة»⁽¹⁷⁾، فهؤلاء الذين لقبوا بأصحاب البشرة السوداء أو الداكنة أرادوا فقط ألا يكونوا منبوذين ولم يطالبوا أن يتم إعلاء شأنهم أو مساواتهم مع الرجل الأبيض (مع أنه كان جديرا أن يعتبر الجميع بشرا متساويين) لكنهم طالبوا كثيرا بذلك ولم يتحصلوا عليه.

وقد كان هؤلاء الأفارقة على اعتزاز بسوادهم وانتمائهم لأفريقيا على الرغم من المعاناة التي عاشوها وهم منبوذون من الأوروبيين، فتحدث "لانغستون هيز" عن ذلك في مؤلفه "أنا أيضا أغني أمريكا" عن شخصية نيغرو الذي يعتز بسواده ويشبهه بالليل فيقول:

«أنا نيغرو:

أسود كالليل،

أسود كأعماق أفريقيا

كنت عبدا...

كنت مغنيا:

من أفريقيا إلى جورجيا»⁽¹⁸⁾

فما عايشه الأفارقة من استبداد وعنصرية من طرف الآخر الأبيض زادت اعتزازهم بأنفسهم وتقديرهم لمبادئهم وتقاليدهم، وفخرهم أنهم شعب أسود عانى كل الظروف سواء في موطنه أو حينما قاموا بترحيله غصبا لكنه بقي مفتخرا بموطنه ومكان انتمائه. ولعلّ هذا ما جعل افتخار العديد من الكتاب بسواد بشرتهم ولونهم الداكن فقد «كان أجري فخورا بزنجيته، فخورا بإفريقيته، معتزا بلونه الأسود وأنه ينتمي للجنس الأسود أينما كان. انظر إلى قوله:

إذا صعدت روحي إلى السماء وقال لي ربي: "أجري إني سأرسلك إلى الدنيا مرة أخرى فما رأيك، أفضّل أن ترجع أبيض اللون؟ أجيبه لا أرسلني رجلا أسود، معّما كامل السواد وإذا سألتني ربي لماذا؟؟ فسأجيبه: "إن لدي عملا سوف أقوم به، ولا يمكنني كرجل أبيض أن أؤديه، من فضلك أرسلني أسود بقدر ما تستطيع من سواد"»⁽¹⁹⁾، فما عبر عنه "كوجير أجيري" الأفريقي دليل على افتخاره بسواده وعدم ندمه في أي مرحلة من حياته أنه كان أسود أو أفريقيا بل هو إذا عاد به الزمن يوما ما سيكون أيضا كذلك، وقد أراد أيضا المساواة بين الرجل الأسود والتعاون بينهما فعبر بأن ذلك يكون كالجمع بين أصابع البيانو البيضاء والسوداء لتنتج لنا نغما موسيقيا منسجما فهذا هو حال البشرية أن يكون الناس متعاونين لمستقبل أفضل لها.

وقد كتبت عدة مدونات حول أدب السود سواء الشعرية منها أو السردية التي تغني فيها الأفارقة بلون بشرتهم وتحدثوا فيها عن المعاناة التي لحقت بهم في محاولتهم التعايش مع الآخر الغربي، يقول "لانغستون هيز":

«طفل جنوبي صغير

أت إلى مدرسة في الشمال

يخاف من اللعب

مع الأطفال البيض.

في البداية يكونون لطفاء معه,

لكنهم أخيرا يهينونه

وينادون (نيغر)

الأطفال الملونون

يكرهونه أيضا

بعد فترة.

إنه فتى صغير

بوجه أسود مدور...

عن هذا الطفل

الصغير الخائف

يستطيع المرء كتابة قصة

ترسم ملامح الغد»⁽²⁰⁾

فتعني هؤلاء الأدباء بسواد بشرتهم وكتابتهم نصوصا مختلفة حولها, هو ثقة بأنفسهم ولونهم وهويتهم, ومحاولة منهم لإثبات أنهم هم أيضا مجتمع له حقوق ويستحق العيش والتعبير عن نفسه وممارسة حقوقه.

أما في الدراسات السردية فقد اشتهرت رواية "الزنوجة" لعائشة بنور التي ثارت فيها على كل ما يحدّ حريتها, ودافعت فيها عن هويتها, لأنها تمتلك «وجودا فريدا ومميزا يأبى الجماعة ويرتدي ثوب الخروج عنها, مغذيا على خبز الأنا المتعظم في نفسها, ذلك الأنا الأسود الجميل المتميز في نفسه عن أقرانه من مجتمعه, في السابق, كان الإنسان بداخلي يتكلم باسم الجماعة, أما اليوم, فالإنسان بداخلي يتكلم باسم الأنا, ويردد:

لأنك سوداء, أنت جميلة

مقولة سنغور تلازمني في حركاتي وسكناتي فكنت أسافر بذنب أنوثتي»⁽²¹⁾, فالكاتبة "عائشة بنور" تفتخر بشخصيتها وسوادها, وسعادتها بما كتبه سنغور حول كل من يحمل بشرة سوداء.

3.3 الأدب الأفريقي:

يعد الأدب الأفريقي مصطلحا حديثا حدثت التحولات التي واجهتها المستعمرات الإفريقية حين استقلالها من الاستعمار الغربي لها, وقد ارتبط هذا المصطلح بالبيئة الجغرافية التي ظهر فيها إذ إنّ «الأدب الأفريقي هو ببساطة الأدب الموجود في أفريقيا... ومن السخف أن نتصوره نمطا خاصا ذا سمات متينة لها طابع الأفريقي الخاص, أو ذا قيم خاصة مرتبطة بالحضارة

الأفريقية بل أضاف: أنه لا يوجد أدب جديد و أدب رديء, ولا شيء غير ذلك»⁽²²⁾, وهو أدب ظهر في أقاليم أفريقية وعالج مواضيعها وقضاياها. وقد اعتبر "علي شلش" في كتابه الذي خصصه للحديث عن الأدب الأفريقي أنه لا يمكن أن تحشر هذا الأدب «في تعريف ضمير محكم... فأنا لا أرى الأدب الأفريقي كوحدة واحدة, وإنما أراه كمجموعة من الوحدات المرتبطة تعني في الحقيقة المجموع الكلي للآداب "القومية" و "العرقية" في أفريقيا»⁽²³⁾, فكان تصنيف هذا الأدب على حسب المنطقة الجغرافية التي ظهر بها, فارتبط بالعرقية وتناول مواضيع حول الأقليات والزنج, على الرغم من أن «الزنج ليسوا كلهم من الأفارقة وكل الأفارقة ليسوا بزنج, لكن مكان تواجدهم لا يهم. باعتبارها موضوعي خطاب ومعرفة, أوقعت أفريقيا والزنج منذ بداية العصر الحديث نظرية الاسم ومكانة ووظيفة الإشارة والتمثل في أزمة حادة... ففي كل مرة كان الأمر يتعلق بالزنج وأفريقيا لم ينقطع العقل المخرب والمفرغ عن الانقلاب على ذاته وغالبا ما سقط في مجال بعيد المنال على ما يبدو»⁽²⁴⁾, لكن هذا الأدب عانى من التهميش والإقصاء المستمر واستغلّ البعض لطرح قضايا تعادي وتثور حول الأفارقة وتجعلهم ضمن فئة الأقليات, «حيث كان الزنجي ينظر له على أنه نموذج أولي لصورة قبل بشرية, غير قادرة على التخلص من حيوانيته وإعادة إنتاج ذاته, والارتقاء إلى مستوى ربحا. منغلقة في إحساساته, يكاد لا يقدر على كسر أغلال الضرورة البيولوجية, وهو السبب الذي من أجله لم يتوصل أبدا إلى بناء صورة بشرية حقيقية لنفسه وصنع عالمه. وهو بذلك يبتعد عن معيارية النوع البشري. واللحظة الحشدية في الفكر الغربي هي من جهة أخرى اللحظة حيث بمساعدة النزوة الامبريالية»⁽²⁵⁾, فالغربي شكّل لنفسه في ظل الدراسات ما بعد الكولونيالية مكانا ضمن المركز في مقابل استبعاد الإفريقي الأسود, واعتباره هامشا تم إقصاؤه بكل الوسائل من خلال نبذه وإقصائه وعدم الاعتراف به والسعي لطمس هويته والتقليل من شأنه دائما.

ويذكر "لانغستون هيوز" بورتريه فتى أفريقي يقول فيه:

«جميع طبول الأدغال الصغيرة تفرع في دمي,

وجميع أقمار الادغال الوحشية الحارة

تشع في روحي.

خائف جدا من الحضارة...

القاسية جدا,

القوية جدا,

الباردة جدا»⁽²⁶⁾

فقد تشكّل لدى الرجل الأبيض تصور عن الفرد الأفريقي أنه يعيش في الأدغال مع الحيوانات ويتميز بكل مظاهر الوحشية, التخلف, والابتعاد عن مظاهر الحضارة. إلا أنه «إذا أردنا دراسة أدب الجنوب فأقرب مصطلح يرد على الذهن هو الأدب الأفريقي جنوب الصحراء الكبرى ولكننا نفضل على هذا المصطلح الجغرافي مصطلحا آخر مثل "الأدب الأفريقي خارج حزام اللغة العربية" أو "الأدب الأفريقي خارج مجال العربية»⁽²⁷⁾ فعلى أن نجعل أدب القارة الأفريقية شمالها وجنوبها؛ أي أدب المغرب العربي وكذلك جنوب أفريقيا سواء كتب باللغة العربية أو غيرها وعلى الأدباء أن تكون لهم اشتغالات عليه ليرقى في مواجهة الآداب العالمية الأخرى. «ولا شك أن متابعة النشاط الأدبي المدون في جزء الواقع خارج مجال العربية في أفريقيا تطلّعنا

على بعض الحقائق المهمة عند فهم هذا النشاط وتقييمه. فقد ظهر الأدب المدون بلغات أوروبا —بصفة خاصة— في أحضان الشعور الوطني و القومي. وكان جزءاً لا يتجزأ منه. وما زالت القومية القوة الدافعة وراء التيارات السياسية و الثقافية في أفريقيا الحديثة كما قال أحد دراسي هذا الأدب من الأفارقة»⁽²⁸⁾, لذلك علينا كمهتمين بالدراسات الأدبية والكتابات ما بعد الكولونيالية أن نسلط اهتمامنا على هذا النوع الأدبي للإعلاء من قيمته ومن قيمة الفرد الإفريقي الذي لطالما كان مقصياً في الهامش.

وتتقاطع هاته المصطلحات في ارتباط الفرد الزنجي الذي كان يسعى دائماً للإعلاء من نفسه وإثباتها، الذي كتب حوله أدب زنجي فكان متعلقاً بالبشرة السمراء أو السوداء ؛ لذلك عرفنا أدب السود الذي ارتبط بدوره ارتباطاً وثيقاً بالمنطقة الجغرافية، فوصلنا ما يسمى الأدب الإفريقي، وكل هاته المصطلحات حملت في خلفياتها نظرة دونية من الآخر الغربي.

4. خاتمة:

- أدّت السيطرة الأوروبية لظهور حركات فكرية وثقافية كان الهدف منها المحافظة والتصدي لكل أشكال الغزو الحضاري الأوروبي، والوقوف بركائز الأدب الإفريقي وإرساء دعائم الثقافة الإفريقية عبر كتابات تحمل هم الفرد الزنجي الذي عانى الإقصاء والتهميش خاصة مع النهضة الأوروبية.
- ارتبط مصطلح الزنجي بالفرد الإفريقي ذي البشرة السوداء الذي يعاني من كل سياسات التهميش والإقصاء، فقد صوّرت أفريقيا بشكل عام والزنجي بشكل خاص كرموز مكتملة لهذه الحياة البدائية والمحدودة، صورة مبالغ في لكل صورة وبالتالي غير قابلة للتصوير أصلاً، إذ كان الزنجي بشكل خاص يمثل بشكل كامل هذا الكائن ويحاول أن يعلي نفسه بنفسه لأنه رأى أن هذا هو السبيل ليحابه التهميش الذي طاله من الغرب.
- لُقّب أصحاب البشرة السوداء أو الداكنة بالسود وكانوا منبوذين، ولم يطالبوا أن يتمّ إعلاء شأنهم أو مساواتهم مع الرجل الأبيض (مع أنه كان جديراً أن يُعتبر الجميع بشراً متساويين) لكنهم طالبوا كثيراً بذلك ولم يتحصلوا عليه. وقد كان هؤلاء الأفارقة على اعتزاز بسوادهم وانتمائهم لأفريقيا على الرغم من المعاناة التي عاشوها وهم منبوذون من الأوروبيين.
- يُعدّ الأدب الإفريقي مصطلحاً حديثاً حدثت التحولات التي واجهتها المستعمرات الإفريقية حين استقلالها من الاستعمار الغربي لها، وقد ارتبط هذا المصطلح بالبيئة الجغرافية التي ظهر فيها إذ إنه ببساطة الأدب الموجود في أفريقيا... ومن السّخف أن نتصوره نمطاً خاصاً ذا سمات متينة لها طابع الإفريقي الخاص، أو ذا قيم خاصة مرتبطة بالحضارة الأفريقية.

5. قائمة المصادر والمراجع:

- (1) أشيل مبيمي، نقد العقل الزنجي، تر: طواهري ميلود، ابن ندّم للنشر والتوزيع، (الجزائر، 2018).
- (2) زهير دحمور، الزنوجة ودورها في بعث حركة الأدب الإفريقي، مجلة دراسات معاصرة، العدد 2، 2018.
- (3) عائشة بنور، الزنجية، دار خيال للنشر، برج بوعريش، الجزائر، ط1، 2020.
- (4) عبد الغني بارة، الهرمنيوطيكا والفلسفة، نحو مشروع عقل تأويلي، منشورات الاختلاف، (الجزائر، 2008).
- (5) علي شلش، الأدب الإفريقي، عالم المعرفة، (الكويت، 1990).
- (6) لانغستون هيوز، أنا أيضاً أغني أمريكا، تر: سامر أبو هوش، منشورات الجمل، (بيروت، لبنان، 2009).

- 7) مارييف أحمد، التجربة الجينية والوجية وسؤال البحث عن الحقيقة، مجلة الحوار الثقافي، المجلد 10، العدد 2، 2021.
- 8) محمد عبد الغني سعودي، قضايا إفريقية، عالم المعرفة، (الكويت، 1980).
- 9) محمد عوض محمد، الشعوب والسلالات الإفريقية، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (مصر، 1965).
- 10) ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، (الدار البيضاء، المغرب، 2002).

6. قائمة الإحالات:

- ¹: عبد الغني بارة، الهرمنيوطيقا والفلسفة، نحو مشروع عقل تأويلي، منشورات الاختلاف، (الجزائر، 2008)، ص 11.
- ²: مارييف أحمد، التجربة الجينية والوجية وسؤال البحث عن الحقيقة، مجلة الحوار الثقافي، المجلد 10، العدد 2، 2021، ص 42.
- ³: عبد الغني بارة، الهرمنيوطيقا والفلسفة، نحو مشروع عقل تأويلي، ص 34.
- ^{*}: إيميه سيزير أحد أبرز مفكري القرن العشرين مع الشعاعين "ليون غونتران داماس" و"ليوبولد سيدار سنغور".
- ⁴: زهير دحمور، الزنوجة ودورها في بعث حركة الأدب الإفريقي، مجلة دراسات معاصرة، العدد 2، 2018، ص 62.
- ⁵: ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، (الدار البيضاء، المغرب، 2002)، ص 160.
- ⁶: أشيل ميمبي، نقد العقل الزنجي، تر: طواهري ميلود، ابن ندتم للنشر والتوزيع، (الجزائر، 2018)، ص 26.
- ⁷: ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ص 160.
- ⁸: أشيل ميمبي، نقد العقل الزنجي، ص 10.
- ⁹: زهير دحمور، الزنوجة ودورها في بعث حركة الأدب الإفريقي، ص 63.
- ¹⁰: أشيل ميمبي، نقد العقل الزنجي، ص 17.
- ¹¹: محمد عوض محمد، الشعوب والسلالات الإفريقية، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (مصر، 1965)، ص 47.
- ¹²: المرجع نفسه، ص 48.
- ¹³: محمد عبد الغني سعودي، قضايا إفريقية، عالم المعرفة، (الكويت، 1980)، ص 192.
- ¹⁴: زهير دحمور، الزنوجة ودورها في بعث حركة الأدب الإفريقي، ص 64.
- ¹⁵: علي شلش، الأدب الأفريقي، عالم المعرفة، (الكويت، 1990)، ص 12.
- ¹⁶: لانغستون هيوز، أنا أيضا أغني أمريكا، تر: سامر أبو هوش، منشورات الجمل، (بيروت، لبنان، 2009)، ص 18.
- ¹⁷: زهير دحمور، الزنوجة ودورها في بعث حركة الأدب الإفريقي، ص 62.
- ¹⁸: لانغستون هيوز، أنا أيضا أغني أمريكا، ص 16.
- ¹⁹: محمد عبد الغني سعودي، قضايا إفريقية، ص 194.
- ²⁰: لانغستون هيوز، أنا أيضا أغني أمريكا، ص 39، 40.
- ²¹: عائشة بنور، الزنجية، دار خيال للنشر، برج بوعريش، الجزائر، ط 1، 2020، ص 17.
- ²²: علي شلش، الأدب الأفريقي، ص 15، 16.
- ²³: المرجع نفسه، ص 16.
- ²⁴: أشيل ميمبي، نقد العقل الزنجي، ص 27.
- ²⁵: المرجع نفسه، ص 34، 35.
- ²⁶: لانغستون هيوز، أنا أيضا أغني أمريكا، ص 36.
- ²⁷: علي شلش، الأدب الأفريقي، ص 14.
- ²⁸: المرجع نفسه، ص 16.